المكتبة العربية

تصدرها

وزارة الثقافة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
بالاشتراك مع
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

الجزء الثامن عشر

مصورة عن طبعة دار الكتب

الناشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
القاهرة
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

ولمّا رأيتُ الشمس أشرق نورُها * تناولتُ منها حاجتي بيميني

وقال السُّدّي والحَكَم: «باليمين» بالحق. قال:

* تلقاها عَرابةُ باليمين *

أى بالاستحقاق. وقال الحسن: لقطعنا يده اليمين. وقيل: المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف؛ قاله نَفْطَوَيْه. وقال أبو جعفر الطبري: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس فى الأخذ بيد من يعاقب. كما يقول السلطان لمن يريد هَوَانه: خذوا بيديه. أى لأمرنا بالأخذ بيده وبالغنا فى عقابه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ يعنى نياط القلب؛ أى لأهلكناه. وهو عِرْقٌ يتعلّق به القلب إذا انقطع مات صاحبه؛ قاله ابن عباس وأكثر الناس. قال:

إذا بلّغتِني وحملتِ رحلي * عَرابةَ فاشْرَقى (1) بدم الوتين

وقال مجاهد: هو حبل القلب الذى فى الظهر وهو النخاع؛ فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه. والمَوْتون الذى قُطع وتينه. وقال محمد بن كعب: إنه القلب ومَرَاقّه وما يليه. قال الكلبيّ: إنه عرق بين العِلباء والحلقوم. والعلباء: عصب العنق. وهما علباوان بينهما ينبت العرق. وقال عكرمة: إن الوتين إذا قُطع لا إن جاع عَرف، ولا إن شبع عَرف.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (48)﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ «ما» نفى و«أحد» فى معنى الجمع، فلذلك نعته بالجمع؛ أى فما منكم قوم يحجزون عنه، كقوله تعالى: «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ» (2) هذا جمع، لأن «بين» لا تقع إلا على اثنين فما زاد. قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "لم تحِلّ الغنائمُ لأحدٍ سُودِ الرءوس قبلكم". لفظه واحد ومعناه الجمع. و«من» زائدة.

(1) شرق (من باب طرب): غص. (2) راجع ج ٣ ص ٤٢٤

والحجز: المنع. و«حَاجِزِينَ» يجوز أن يكون صفة لأحد على المعنى كما ذكرنا؛ فيكون فى موضع جرّ. والخبر «مِنْكُمْ». ويجوز أن يكون منصوبا على أنه خبر و«مِنْكُمْ» مُلغًى، ويكون متعلقا بـ«حَاجِزِينَ». ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر فى هذا؛ كما لم يمتنع الفصل به فى «إن فيك زيدا راغب».

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعنى القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أى للخائفين الذين يخشون الله. ونظيره: «فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (1) على ما بيّناه أوّل سورة البقرة. وقيل: المراد محمد صلى الله عليه وسلم؛ أى هو تذكرة ورحمة ونجاة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: بالقرآن. ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ﴾ يعنى التكذيب. والحسرة: الندامة. وقيل: أى وإن القرآن لحسرة على الكافرين يوم القيامة إذا رأوا ثواب من آمن به. وقيل: هى حسرتهم فى الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بسورة مثله. ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ يعنى أن القرآن العظيم تنزيل من الله عز وجل؛ فهو لحق اليقين. وقيل: أى حَقًّا يقينًا ليكوننّ ذلك حسرة عليهم يوم القيامة. فعلى هذا «وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ» أى لَتَحَسُّر؛ فهو مصدر بمعنى التحسر، فيجوز تذكيره. وقال ابن عباس: إنما هو كقولك: لَعَيْن اليقين ومحض اليقين. ولو كان اليقين نعتا لم يجز أن يضاف إليه؛ كما لا تقول: هذا رجل الظريف. وقيل: أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أى فصلّ لربك؛ قاله ابن عباس. وقيل: أى نزه الله عن السوء والنقائص.

(1) راجع ج ١ ص ١٦١

« الخاطيون » بإبدال الهمزة ياء، و « الخاطون » بطرحها . وعن ابن عباس : ما الخاطون!
كلنا نخطو . وروى عنه أبو الأسود الدؤلي : ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون . ما الصابون!
إنما هو الصابئون . ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود
الله عز وجل .

قوله تعالى : فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)

قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ المعنى أقسم بالأشياء كلها
ما ترون منها وما لا ترون . و « لا » صلة . وقيل : هو رد لكلام سبق ؛ أي ليس الأمر كما
يقوله المشركون . وقال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال : إن محمدا ساحر . وقال
أبو جهل : شاعر . وقال عقبة : كاهن ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ أي أقسم
وقيل : « لا » ها هنا نفي للقسم ، أي لا يحتاج في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك ،
وعلى هذا فجوابه كجواب القسم . ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يريد جبريل ،
قاله الحسن والكلبي ومقاتل . دليله : « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ »[1] .
وقال الكلبي أيضا والقتبي : الرسول ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله : « وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ » وليس القرآن قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من قول الله عز وجل
ونسب القول إلى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به ، كقولنا : هذا قول مالك .

قوله تعالى : وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)

(١) راجع جـ ١٩ ص ٢٣٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ لأنه مباين لصنوف الشعر كلها . ﴿ وَلَا بِقَوْلِ
كَاهِنٍ ﴾ لأنه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئا على من يسبهم . و « ما » زائدة
في قوله : « قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ » ، « قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ » ؛ والمعنى : قليلا تؤمنون وقليلا تذكرون .
وذلك القليل من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا من خلقهم قالوا : الله . ولا يجوز أن تكون
« ما » مع الفعل مصدرا وتنصب « قليلا » بما بعد « ما » ؛ لما فيه من تقديم الصلة
على الموصول ؛ لأن ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر . وقرأ ابن محيصن وابن كثير
وابن عامر ويعقوب « مَا يُؤْمِنُونَ » و « يذكرون » بالياء . الباقون بالتاء لأن الخطاب
قبله وبعده . أما قبله فقوله : « تُبْصِرُونَ » وأما بعده : « فَمَا مِنْكُمْ » الآية .

قوله تعالى : تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)

قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ ﴾ أي هو تنزيل . ﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهو عطف على قوله :
« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » ، أي إنه لقول رسول كريم ، وهو تنزيل من رب العالمين .

قوله تعالى : وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ « تقول » أي تكلف وأتى بقول من
قبل نفسه . وقرئ « وَلَوْ تُقُوِّلَ » على البناء للمفعول . ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أي بالقوة
والقدرة ، أي لأخذناه بالقوة . و « من » صلة زائدة . وعبر عن القوة والقدرة باليمين لأن
قوة كل شيء في ميامنه ؛ قاله القتبي . وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد . ومنه قول الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة . عرابة اسم رجل[1] من الأنصار من الأوس . وقال آخر :

(١) هو عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الحارثي الأنصاري . من سادات المدينة الأجواد المشهورين . أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم صغيرا وتوفي بالمدينة نحو سنة ستين .